خطبة الجمعة الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((الجماعة رحمة))

الحمد لله .. الحمد لله ثم الحمد لله

الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعة الله فنحن اليوم في دار عمل لا حساب فيها وغدا ذاهبون إلى دار حساب لا عمل فيها . . . ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]

وقال ربنا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] وقال جل من قائل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَخْتَلِفُوا، فإنَّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فَهَلَكُوا)) [البخاري]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُهُ بعضًا)) [البخاري ومسلم]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ، رَضِيَ لَكُمْ ثَلاَثًا، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا، رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.)) [أحمد ومالك]

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لتلميذه سماك: **(يا سماك الجماعة الجماعة فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها)**

أيها الإخوة:

نحن في الخطبة الحادية عشرة في سلسلة تربية الأبناء، لكن اسمحوا لي أن أحدثكم اليوم في موضوع يقتضيه الحال بعيد عن مفردات هذه السلسلة من الخطب.

عنون خطبة اليوم: **الجماعة رحمة..**

المتتبع لنصوص القرآن الكريم أيها الإخوة من أوله إلى آخره ولحديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولأحكام الشريعة الغراء يجد هذا الدين يدعو في كل تعاليمه بطريقة أو بأخرى إلى الجماعة، وينهى بكل تعاليمه بطريقة أو بأخرى عن التفرق والتشرذم والتناحر والتدابر.

ففي أول سورة من سور القرآن مثلا، في سورة الفاتحة تقرأ أنت في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) ﴾ [الفاتحة: 1 – 7]

إن الله رب العالمين كلهم.

وإنك تقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ بصيغة الجمع، ولو أن واحدا منا صلى في بيته في ليلة ظلماء، في غرفته الخاصة لا يراه أحد من الخلق لقرأ نفس الآية في الصلاة: بصيغة الجمع، نعبد بصيغة الجمع، ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ بصيغة الجمع، ﴿ اهْدِنَا ﴾ بصيغة الجمع.

ولو أن قارئا قرأ إياك أعبد وإياك أستعين اهدني الصراط المستقيم، لكانت صلاته باطلة، وكان محرفا للقرآن الكريم ومغيرا لكلام الله تعالى.

وكأن الله عز وجل يريدنا من أول سورة من سور القرآن أن نأتي إليه مجتمعين لا متفرقين ومتعاونين لا متناحرين.

وقد ورد في القرآن الكريم أربعة عشر آية تتحدث عن الفرقة وكلها تذم التفرق وتنهى عن الفرقة.

وأنت عليم بأن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد، وبأن رمضان نصوم مع بعضنا البعض ونفطر مع بعضنا البعض، وأن الزكاة نوع من أنواع الاجتماع والتلاقي المادي، يعين القوي فينا الضعيف ويساعد الغني فينا الفقير، وبأن الحج اجتماع في يوم عرفة، يجتمع كل حجاج بيت الله الحرام في نفس المكان وفي نفس اليوم، وبأن الجمعة اسمها جمعة لأننا نجتمع فيها، وبأن المسجد اسمه جامع لأنه يجمعنا مع بعضنا البعض.

وهكذا تقرؤون في تعاليم الإسلام كلها دعوة إلى الجماعة.

بر الوالدين لتجتمع الأسرة، صلة الأرحام لتجتمع العائلة الأكبر، مساعدة الجوار ليجتمع أبناء الحي، مساعدة الضعفاء والفقراء وتقديم الخير للآخرين ليزداد الناس اجتماعا.

وفي كل هذا دلالات واضحة على دعوة الإسلام إلى الجماعة لأن الجماعة رحمة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى:

حذر الإسلام من الحسد لأنه يفرق الجماعة، ومن البغضاء لأنها تفرق الجماعة، ومن الظلم لأنه تفرق الجماعة، ومن الحقد لأنه تفرق الجماعة، ومن الغيبة لأنها تفرق الجماعة، ومن النميمة لأنها تفرق الجماعة، ومن قطيعة الرحم لأنها تفرق الجماعة، ومن أذية الجار لأنها تفرق الجماعة، ومن الإفساد في الأرض لأنه تفرق الجماعة.

ليقطع الإسلام روافد التفرق والتشرذم وليحافظ على الجماعة والإئتلاف.

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قَالَ : مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا ، عَظِيمَ الْكُفْرِ ، شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ ، وَصَلاحِ ذَاتَ بَيْنِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : قَدِ اجْتَمَعَ مَلأُ بَنِي قَيْلَةَ ، يَعْنِي : الأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ ، بِهَذِهِ الْبِلادِ ، لا ، وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ ، فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُ ، قَالَ : فَاعْمَدْ فَاجْلِسْ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ ذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ مَا كَانَ فِيهِمْ ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الأَشْعَارِ ، وَكَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فَفَعَلَ ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكْبِ : أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَوْسٍ ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ ، فَتَقَاوَلا ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : إِنْ شِئْتُمْ وَاللَّهِ رَدَدْنَاهَا الآنَ جَذْعَةً ، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ ، وَقَالُوا : قَدْ فَعَلْنَا ، السِّلاحَ السِّلاحَ ، وَمَوْعِدُكُمْ الظَّاهِرَةُ ، وَالظَّاهِرَةُ : الْحَرَّةُ فَخَرَجُوا إِلَيْهَا ، وَتَجَاوَرَ النَّاسُ ، فَانْضَمَّتِ الأَوْسُ

بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَتِهِمِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى جَاءَهُمْ ، فَقَالَ : ((**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهَ اللَّهَ ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الإِسْلامِ ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ ، وَقَطَعَ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا ؟**)) ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَهُمْ ، فَأَلْقَوْا السِّلاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَكَوْا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَأَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّهِمْ، وَعَدُوُّ اللَّه: شَاسُ بْنُ قَيْسٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَاسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿ 98 ﴾ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ سورة آل عمران آية 98 - 99 إِلَى آخِرِ الآيَةِ. وَأَنْزَلَ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ ، وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾سورة آل عمران آية 100 الآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى عَذَابٌ عَظِيمٌ سورة آل عمران آية 105، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:103-105]

يا أيها الإخوة :

الجماعة رحمة والفرقة عذاب ولئن كنا في وقت من الأوقات بحاجة إلى الجماعة فإن حاجتنا لها اليوم أكبر.

وإذا ما حدثت بين المسلمين خصومة أو أمر يعكر اجتماعهم فإن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دعانا فقال:

((**أَلا أُخبِرُكُم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ ، والصلاةِ ، والصدقةِ ؟**)) قالوا : بلى

قال: ((**صَلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فَإن فسادَ ذَاتِ البَيْنِ هي الحَالِقَةُ**)). [الترمذي وأبو داود]

وقال الترمذي : ويُرْوَى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: ((**هي الحالِقة، لا أقول: هي تحلِقُ الشَّعْرَ، ولكن تَحْلِقُ الدِّين**))

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، الله إنا نعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة القبر ومن فتنة المسيح الدجال.

ختاما أيها الإخوة:

تأملوا خيرا بحديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول: ((**إني رأيت كأن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن في الشام**)) [الطبراني والحاكم]

اللهم اجعلنا بلد الأمن والإيمان والراحة والاطمئنان وأزل عنا الفرقة والتناحر، وجنبنا سفك الدماء والحمد لله رب العالمين.